الفصل الخامس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان بالقرآن الكريم عند المسلمين والرد عليها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فرية تأليف القرآن الكريم والرد عليها.

المبحث الثاني: الرد على دعوى أن القرآن الكريم ليس فيه جديد عما في الكتب السابقة وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: ما يعد جديداً في مجال الأحكام.

الثاني: ما يعد جديداً في مجال الأخبار.

الثالث: ما يعد جديداً في القضايا العلمية.

المبحث الثالث: دعوى التناقض في القرآن الكريم والرد عليها وفيه ردود على المستشرقين فيما يلي:

١- مسألة خلق السموات والأرض.

٢- ما ذكر بين الآيات في الجمع بين الزمن الماضي والحاضر.

٣- ما ذكر بين الآيات في مسألة حمل الأوزار.

٤- ما ذكر بين الآيات في مسألتي الود والمعروف.

الفصل الخامس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان بالقرآن الكريم عند المسلمين والرد عليها

لما كان الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل الكرام هو الركن الثالث من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة في الإسلام، ولما كان القرآن الكريم مؤتمناً على هذه الكتب ومهيمناً أميناً عليها ومبعداً عنها كل ما أدخل عليها من تحريف وآخذاً بمسيرة المسلمين إلى جوهر الحقيقة في العقائد والشرائع والمعاملات تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1] أي شهيدا وحاكما على ما قبله من الكتب.[2]

فإن المستشرقين عزَّ عليهم أن يتركوا هذا الكتاب العزيز من غير أن يفتروا عليه الكذب كعادتهم مع بقية أركان الإيمان في الإسلام محاولين زعزعة الاعتقاد في صحته وهادفين إلى إبطال القول بأنه من وحي السماء إلى الرسول محمد ﷺ.

هذا ويمكن بعد اطلاعنا على افتراءات المستشرقين حول هذا المصدر العظيم أن نجمل أشهر أقوالهم في هذا الأمر في النقاط التالية: -

١- إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ، وإنه قد استعان في هذا التأليف ببعض اليهود والنصارى وكانوا له أسائذة.[3]

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٢) راجع تفسير ابن كثير، ج٢ ص٧٠، ٧١.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٠ جولد تسيهر.

وقد أصبحت مقولة تأليف محمد ﷺ للقرآن مشهورة بين المستشرقين لدرجة أن أحدهم وهو (جورج سيل) صرح في إحدى ترجماته للقرآن والتي جاءت لأول مرة عام ١٧٣٤م بعنوان (القرآن) أو (قرآن محمد ﷺ) بأن هذا الأمر -حقيقي- ولا يقبل الجدل وأن محمداً هو المحتال الرئيس في تأليفه وإن كان قد تلقى عوناً من الآخرين - أي في خطة تأليفه له-[1]

٢- كما قالوا: إن هذا القرآن ليس فيه جديد يخالف به محمد اليهود والنصارى بل إن مادته المستعملة في تفسير تعاليمه موجودة في الكتاب المقدس قبله.[2]

٣- كما زعموا بالإضافة إلى ما سبق إلى أن القرآن فيه تناقضات واضحة بين الكثير من سوره وآياته.[3]

تلك هي أشهر افتراءاتهم حول القرآن الكريم والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبهذا يقر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويعقدون أمرهم على تقبل هذا المعتقد بكل اطمئنان ويقين على أنه تنزيل من حكيم حميد وإن كره ذلك المشركون والمستشرقون والملحدون في كل زمان ومكان، وما أثاره هؤلاء من افتراءات لا يمكن أن تزحزح أبناء الأمة المخلصين عن اعتقادهم في القرآن الكريم وصدق المنزل عليه؛ لذلك يمكننا أن نجمل الرد على هؤلاء في المباحث التالية:

المبحث الأول:

الرد على فرية تأليف القرآن الكريم

١- وعنها أقول إن مسألة أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ مسألة واهية ولا حظ لها من العلم والمنطق، ولا سند لها من التاريخ والواقع، وإنما هي تخمينات

(١) نقلاً عن الاستشراق د/حمدي زقزوق - ص١٠٠، ١٠١ ورؤية إسلامية للاستشراق د/أحمد عبدالحميد غراب، ص٣٢.

(٢) نقلاً عن الاستشراق تاريخه وأهدافه، ص٤٢ د/أحمد شلبي، والاستشراق ص١٠٢، ١١٤، د/حمدي زقزوق.

(٣) نقلاً عن رؤية إسلامية للاستشراق، ص٣١، ٣٢.

وافتراءات وضعها أصحابها من غير برهان ولا حجة، وادعو أنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل، بينما هي مقولة قديمة حمل لواءها الوثنيون القدامى من أهل مكة وغيرهم من المشركين، وسجل عليهم القرآن ذلك وبين زيفها وكذب أصحابها، فإذا جاء المستشرقون اليوم من اليهود والنصارى وانضم إليهم ملحدو العالم ليرددوا ما رددده آباؤهم من قبل فلا غرابة عندنا، إذ الأمر قد أخبرنا بمثله من قبل، وإنما الغرابة في أن أصحابه يدَّعون أنهم محققون منصفون وباحثون معتدلون، وهم عن ذلك بعيدون، بل هم ببغاوات مرددون دون فهم لما ينطقون.

وهاك القرآن الكريم يعدد أقوال المشركين السابقين تجاه فرية تأليف القرآن الكريم وانتسابها لخير الخلق رسول الإسلام ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾[1] فيرد الرحمن مكذبا: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾.[2]

إذن فهو ليس من تأليف رسول الله ﷺ ولا من أقوال السابقين من يهود أو نصارى بل هو تنزيل ممن يعلم كل ما طرأ في السموات أو في الأرض، إذ لا تخفى عليه خافية، ولم يكتف المشركون بذلك بل قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾.[3]

وهذا غلام نصراني يقال له جبر كما ذكر محمد بن إسحاق أو يقال يعيش أو بلعام وهو أعجمي لا يعرف العربية[4] فرد القرآن قائلاً ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾[5] أي القرآن فيه الفصاحة

(١) سورة الفرقان الآية: ٤، ٥..

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦.

(٣) سورة النحل من الآية: ١٠٣.

(٤) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٠٨.

(٥) سورة النحل الآية: ١٠٣.

والبلاغة والمعاني التامة الشاملة والتي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يمكن لأعجمي لا يملك ذرة من هذه المعاني ولا يحيط علماً بألفاظها بأن يأتي بها، إن هذا الادعاء كما يقول ابن كثير لا يقول به من له أدنى مسكة من العقل.[1]

ولكن كفار الأمس قالوه ومستشرقو اليوم رددوه بلا وعى ولا رويه. ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2] وهم بذلك لا يشعرون ولا يعقلون.

٢- ولو تعقلوا وشعروا بخيبة ظنونهم وتدبروا القرآن الكريم وآياته لرأوا أن القرآن بكل سوره لا يقر بأن محمداً هو مؤلفه بل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[3] ذلكم هو جبريل -عليه السلام- تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد ﷺ وبلغه دون أن يكون له فيه من عمل بعد ذلك إلا:

١- الوعي والحفظ ثم-

٢- الحكاية والتبليغ ثم-

٣- البيان والتفسير ثم-

٤- التطبيق والتنفيذ.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٠٨

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٣) سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل وليس له من أمرها شيء إن هو إلا وحي يوحى، وقد أقر محمد ﷺ بذلك وحكى القرآن الكريم هذا الإقرار على لسان محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾[1]

وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2] وهذا ما يدل على إيحاء المعاني، أما إيحاء الألفاظ فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]

وقوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[4] وقوله تبارك اسمه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾[5] وقوله جل شأنه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[6] وقوله تعالى ذكره: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾[7] وقوله تقدس وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[8]

فانظر كيف عبر بالقراءة والإقراء والتلاوة والترتيل وتحريك اللسان وكون الكلام عربياً، وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعاني البحتة.

القرآن إذاً صريح في أنه لا صفة فيه لمحمد ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه[9]

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٣.

(٢) سورة يونس الآية: ١٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٤) سورة الأعلى الآية ٦

(٥) سورة القيامة الآيات ١٦-١٩

(٦) سورة العلق آية ١

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٥

(٨) سورة المزمل آية ٤.

(٩) راجع النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د/محمد عبد الله دراز ص ١٤، ١٥.

٣- ولو كان القرآن الكريم بالفعل من تأليف محمد ﷺ لكان هذا شرف كبير لمحمد ﷺ لما في هذا الكتاب العزيز من الإعجاز الذي لم يقاومه إنس ولا جان، ولما رأينا أن الجميع في عجز تام من الإتيان بمثله أو ببعض سوره أو آياته.

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نرى محمداً ﷺ يتبرأ من انتساب هذا التأليف إليه!؟ ولماذا يقر على نفسه أمام الدنيا كلها بأنه لا دخل له ولا فضل في شيء من هذا الكتاب الكريم!؟ ألا يدل هذا الإقرار على صدق هذا النبي الأكرم وأمانته ﷺ؟

إن الذي نعرفه أن بعضاً من الأدباء والمؤلفين في هذه الأيام ومن قبل قد يسطون على مؤلفات غيرهم وآثارهم فيسرقونها وينسبونها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، بل وقد يأخذون أوسمة ونياشين بسبب ما ظنه المجتمع فيهم من أمانة في التأليف، ولم نسمع في دنيا البحث على مر العصور والدهور أن هناك أحداً من الناس قد نسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، لكن محمداً نسب ذلك إلى ربه جل وعلا.

إن هذه القضية -كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز- لو وجدت قاضياً يقاضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها- ﷺ - وهي أنه بريء من تأليف القرآن ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل.. لأنها من الإقرار الذي يؤخذ به صاحبه ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه ولا يحتاج بجواره إلى بينة..؛ لأنه لا مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره ولو نسبها لنفسه لازداد بها رفعة وفخامة شأن[1].

لكن الأمانة ألزمته ﷺ ألا ينسب هذا الأمر العظيم إلى نفسه وهو الذي عرفته مكة وشعابها بأنه الصادق الأمين ﷺ.

---

(١) راجع النبأ العظيم، ص١٦، ١٧ بتصرف.

وهم باطل وقياس فاسد:

ولئن حاك في صدور المستشرقين وافترضوا أن النبيﷺ - كما هي عادتهم - في اختلاقهم عليه- صلوات ربي وسلامه عليه- قد نسب القرآن الكريم إلى ربه احتيالاً منه لبسط نفوذه على الناس ولجعل كلامه نافذاً فيهم وطاعته واجبة عليهم.

فإن هذا قياس فاسد في ذاته وفاسد في أساسه:

أ- أما أنه **فاسد في ذاته**: فلأن صاحب هذا القرآن قد صدر عنه الكلام المنسوب إلى نفسه، والكلام المنسوب إلى الله تعالى فلم تكن نسبته فيما نسبه إلى نفسه بناقصة من لزوم طاعته شيئاً ولا نسبة ما نسبه إلى ربه بزائدة فيها شيئاً، بل استوجب على الناس طاعته فيها على السواء، فكانت حرمتها في النفوس على سواء، وكانت طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، فهلا جعل كل أقواله من كلام الله تعالى لو كان الأمر كما يهجس به ذلك الوهم!

ب- وأما فساد هذا القياس من **أساسه**: فلأنه مبني على افتراض باطل وهو تجويز أن يكون هذا الزعيم من أولئك الذي لا يأبون في الوصول إلى غاية إصلاحية أن يعبروا إليها على قنطرة من الكذب والتمويه، وذلك أمر يأباه علينا الواقع التاريخي كل الإباء، فإن من تتبع سيرته الشريفة ﷺ في حركاته وسكناته في عباراته وإشاراته في رضاه وغضبه إلخ لا يشك في أنه كان أبعد الناس عن المواربة والمداهنة وأن سره وعلانيته كانا سواء في دقة الصدق وصراحة الحق، في جليل الشؤون وحقيرها، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا[1].

(١) المصدر السابق ص١٧-٢٠.

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1]

فما أكذب من قال: إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ بل هو وحي من قبل الله عز وجل.

المبحث الثاني

الرد على دعوى أن القرآن الكريم ليس فيه جديد

أما دعواهم بأن القرآن الكريم لا يحمل جديداً إلى البشرية، وأن مادته أخذت من كتابهم المقدس -عندهم- فهي دعوى كاذبة أيضاً ولا تحمل معها براهين تؤيدها ذلك؛ لأن القرآن الكريم أتى بمعلومات أكمل وأعلى وأوسع من كل ما وجد في الكتاب المقدس، وقد ثبت ذلك في مجالات شتى سواء في الأحكام أو في الأخبار وكذلك في القضايا العلمية وشهد الباحثون في كل المجالات بصدق ذلك.

المطلب الأول: أما في الأحكام

فقد أتى بالجديد فيها مما يتناسب مع البشرية في كل الأزمنة، ولا يوجد حكم ذكره القرآن الكريم لا تتقبله الطبائع السليمة بالتسليم والرضا.

ولئن قال قائل: إن هناك بعضاً من هذه الأحكام قد ورد في التوراة، وقد رأينا أن القرآن أبقى على حكمها مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾؛[2] لقلنا له: إن هذا شيء قليل جداً وهو امتداد لحكم الله تعالى في أمور لم تختلف باختلاف الزمان

(١) سورة يونس الآية ١٦، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١ ص٣٢٧ مقولة النضر بن الحارث في صدق رسول الله ﷺ

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

والمكان، والله عز وجل باعث لكل الأنبياء ومصدر الأنبياء دائماً واحد وثابت، فإن جاء حكم هنا يوافق حكماً هناك فهو لا يعني ثبوت شبهة الاقتباس بل يعني أن المنبع في الأصل كان واحد.

وقد ذكر ذلك الباحث الفرنسي (كاستري) حين قال: إن ما يقال عن وجود تشابه أحياناً بين التوارة والقرآن فإن هذا سببه أن هذه الكتب كان مصدرها واحداً، وأن محمداً جاء ليتم ما فيها ويكون آخر الأنبياء وهو لم يأخذ مادته من التوارة والإنجيل ولم يقرأهما، ولو قرأهما لرد ما بهما من انحرافات.[1]

ومما يؤكد على كذب دعوى الاقتباس عن هؤلاء وكتبهم أكثر ويزهق فرية المستشرقين في كل مكان ما نضربه الآن من أمثلة في مجال الأحكام تعد جديدة على القوم لمغايرتها لما في التوارة، وطالما هي مغايرة ومخالفة لما سطر فيها فإن هذه الأحكام بحق تنزيل من رب العالمين فمثلاً:

١- **في موضوع الربا**: نرى سفر التثنية يقول: «للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك»[2]

ولكن **الربا في الإسلام** مذموم وممنوع لا بين المسلمين فقط ولكن مع كل الأجناس البشرية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3]

ثم قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[4]

---

(١) انظر: الإسلام في نظر هؤلاء، ص٦٨ - أحمد حامد، والاستشراق تاريخه وأهدافه - د/ أحمد شلبي ص٤٢.

(٢) سفر الإنسان إصحاح ٢٣/ ٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

ثم قال جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾[1]

ثم أخبر عز وجل أن اليهود كانوا يبيحون ذلك في كتبهم فحرموا من الطيبات ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ ﴾[2]

وعلى هذا فالقرآن الكريم أتى بحكم جديد في قضية الربا يخالف ما عليه كتاب اليهود المقدس، بل ويحارب جشعهم وحبهم لابتزاز أموال الآخرين، والبشرية في يومنا هذا تعاني من تفشي الربا ومضاعفة الفوائد في البنوك على المقترضين ولو عادت لهذا الحكم الإسلامي لعاد إليها الأمن والطمأنينة، ولنعمت بسعادة اجتماعية وأسرية في ظل هذا التشريع الإسلامي الجديد والذي لم يوجد في أي كتاب سابق.

٢- **وكذلك الأمر في مسألة المرأة** حيث ذكرت التوارة -المحرفة- أن المرأة إن خانت زوجها وضاجعت غيره فليذهب بها إلى الكاهن لكي تعترف أمامه بخطئها فيغفر لها ذنبها في عقب هذا الاعتراف مباشرة[3]. وقد أخذ بذلك اليهود والنصارى معاً.

ولعلنا نلاحظ أن في هذا التشريع تساهل وفتح لأبواب الزنا، فطالما المرأة تعلم أن الكاهن قد يغفر لها ويرفع عنها خطأها فبإمكانها أن تفعل جريمتها متى شاءت وكيف شاءت.

بينما في شريعة الإسلام: يرفض مجرد الاقتراب من الزنا؛ لأنه فاحشة وموصل إلى طرق الشر دائماً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠-١٣١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠-١٦١.

(٣) انظر: سفر العدد الإصحاح الخامس من الفقرة ١١-٢٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

والعالَم في هذه الآونة المعاصرة يرى أن هذا التشريع الجديد يتناسب واستقرار البشرية ويبعدها عن أمراض الهلاك كالإيدز والزهري والسيلان وغيرها تلك التي تصرخ منها المجتمعات الساقطة في أركان الأرض الأربعة كلها.

كما أن الإسلام في تشريعه الجديد لم يقبل بالاعتراف أمام كاهن أو قس أو شيخ أو أي أحد من الخلائق ؛ لأن الذي يغفر الذنب ويستر العيب ويقبل التوبة ليس العبد الضعيف بل خالق العباد العالم بسرهم ونجواهم قال تبارك اسمه : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1]

وعلى هذا فحكم القرآن في هذه القضية لا يلتقي وما وجد في الكتاب المقدس.

٣- أما في قضايا الحرب فالقارئ لسفر التثنية عند اليهود تصيبه الدهشة والعجب لما فيه من تشريع يخالف أدنى مبادئ الأخلاق والمواثيق العالمية التي يتطلبها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان؟

فالسفر يدعو القائد اليهودي أن يخرج للحرب فإن اقترب من المدينة التي يريد حربها فعليه أن يدعوها للصلح ،[2] وهذا أمر من غير شك طيب فالصلح خير لكن الملفت للنظر والذي لا يعد طيباً بعد ذلك أن السفر يقول : «فإن أجابتك -أي المدينة- إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.. وإلا فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.

أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة غنيمة لك.. وهكذا تفعل بجميع المدن... إلخ».[3]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) انظر: سفر التثنية الفقرة ١١.

(٣) انظر: سفر التثنية من الفقرة ١٢-١٨.

تماماً كشريعة الغاب قتل لمن يسالم واعتداء على المدن الآمنة المستقرة وسبي للنساء ويتم للأطفال بدون ذنب اقترفوه ولا جناية ارتكبوها.

ويقال: إن هذا تشريع سماء، ولا أعتقد أن خالق السماء والإنسان يشرع ما يضر بالإنسان ويزعزع أمنه ويذهب باستقراره.

ولذلك نرى أن التشريع الحق في هذه القضية ما ذكره الإسلام في الكتاب الكريم حيث وضع الأمور في نصابها وطلب عدم الاعتداء على المسالمين الآمنين في مدنهم وقراهم إلا من خالف ذلك منهم وبدأ بالعدوان على ديار المسلمين قال جل شأنه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[1].

وعند الغلبة عليهم لا يطلب الإسلام في تشريعه الجديد الاستمرار في القتال -لأن القتال ليس غايته- بل يطلب من القائد المسلم أن يدعو العدو إلى السلم والصلح فإن استجاب فلا يصح ضرب جميع الذكور بالسيوف -كما ذكر كتاب اليهود- بل يقبل القائد بذلك ويتوكل على الحي القادر المقتدر: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[2]

وإن أقام بين المسلمين فعليه الجزية إن لم يقبل الإسلام ويقابل ذلك بضمان الأمن له وبره والعدل معه وغير ذلك من الحقوق. قال الرحيم الرحمن: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[3]

كم قال في موضع آخر: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[4].

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٠.
(٢) سورة الأنفال الآية: ٦١.
(٣) سورة النساء الآية: ٩٠.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

وشتان بين التوجيه والتشريع الجديد الذي حمله الإسلام إلى البشرية وبين ما ذكرته اليهودية ووافقت عليه النصرانية القائمة الآن، شتان شتان بين ماء زمزم ومياه المستنقعات، وعلى المجتمعات الدولية في كل مكان أن تنظر وترى وتقارن بين التشريعين أيهما أفضل لسعادة الناس وهل ما جاء به الإسلام في هذا الشأن اقتبسه نبي الإسلام من اليهود حقاً كما يزعم المستشرقون أم هو بالفعل من وحي السماء ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1].

المطلب الثاني :أما في مجال الأخبار :

فالأمر بين واضح ؛ ذلك لأن القرآن الكريم أتى بجديد في دنيا الأخبار لم يكن محمد ﷺ ولا قومه لهم علم به، بل لم تذكره حتى كتب اليهود والنصارى ولم تشر إليه من قريب ولا بعيد مما يدل على أن مادة الخبر غير موجودة في الكتاب المقدس كما يزعم المستشرقون.

وعن هذه الأخبار نذكر أمثلة منها :-

١- ما ذكر **عن تحريف اليهود** لما نزل على موسى عليه السلام من تشريع، وقد كان يظن أنهم لم يحرفوا ولم يبدلوا في شيء إلا أن القرآن الكريم فضحهم وكشف عوراتهم على العالم أجمع وفي كل زمان ومكان، قال تبارك وتعالى:﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[2].

يقول ابن كثير -رحمه الله- : «نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بين أيديهم من الأمر برجم من أُحصن منهم فحرفوه واصطلحوا

(١) سورة الكهف، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٤١.

فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والإركاب على حمارين مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم تعالوا نتحاكم إليه -أي محمد ﷺ - فإن حكم بالجلد والتحميم خذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه»[1]

ويفهم من ذلك أنهم لا يريدون أن يقروا بنبوءة محمد ﷺ إلا إذا وافق حكمه هواهم في التحريف والتبديل، لكن النبي ﷺ لم يقبل هذا الأمر وجعلهم يأتون بالتوراة ليقرؤوها أمامه ويكشف باطلهم ويثبت أن الرجم ثابت فيها وما زعموه من جلد للمحصن أمر دخيل ولم تقل به التوراة وقد فعلوا وتبين ثبوته.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في توضيح ذلك[2]

وغني عن البيان هنا أن الناس قبل خبر القرآن هذا لم يكونوا على إدارك من أن اليهود وعلماءهم كانوا يحرفون كلام الله، وهم الذين رفعوا أنفسهم إلى درجة البنوة لله تعالى، وأنهم على حد زعمهم أفضل شعب على هذه البسيطة.

فالقرآن بخبره الجديد كشف مستورهم وأظهر عوراتهم وأعطى معلومة جديدة تقول: إنهم أكذب شعب عرفته الدنيا على مر العصور.

٢- كذلك أخبر القرآن الكريم أخباراً جديدة متعلقة بمجال العقيدة عند اليهود منها:

زعمهم أن الله فقير وهم أغنياء، صرحوا بذلك مرة، وفي أخرى قالوا: إنه -تبارك وتعالى- بخيل يده مغلولة.

وعن الأولى تحدثت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[3] قال المفسرون: إن جماعة من اليهود وعلى

(١) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٦٢.

(٢) للمزيد راجع المصدر السابق، ج٢ ص٦٢-٦٤.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٨١.

رأسهم عالم من علمائهم وحبر من أحبارهم يدعى فنحاص لما سمع قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1] فقال: إن الله فقير فلما سمعه الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- يتفوه بذلك ضربه على أم رأسه وشجه في وجهه، فشكاه لرسول الله ﷺ وأنكر قوله فنزلت الآية تكذبه وتؤكد على صدق الصديق رضي الله عنه.[2]

وعن **الثانية** جاء قول الله تعالى في سورة المائدة مخبراً: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي بخيلة.[3]

فرد سبحانه بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[4]

وهذا هو الحق؛ لأن الذي يملك الكون بما فيه لا يعقل أن يكون فقيراً؛ لأن خزائنه لا تنضب ولا تنتهي، وكذلك لا يتصور أن يكون بخيلاً؛ لأن من أسمائه الرزّاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[5]

والرزّاق هو الذي يرزق الخلائق بما فيهم اليهود في كل لحظة من لحظات الحياة، والواقع يشهد بذلك، فلا يصح والحالة هكذا أن يفتري أبناء القردة على الله ويسيئوا الأدب مع رب الأكوان؛ لأن الناس جميعاً إليه فقراء، وهو وحده المعطي لهم والمستحق للحمد والشكر دون سواه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾[6]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٢) راجع المصدر السابق، ج١ ص٤٢٣.

(٣) نفس المصدر ج٢ ص٨١.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٦٤.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٦) سورة فاطر، الآيات: ١٥-١٧.

٣- ومن الجديد **أيضاً في دنيا الأخبار** ما ذكره القرآن الكريم من حديث حول حمل مريم بمولودها الجديدِ دون أب ليكون آية على قدرة الله التي غفل عن تذكرها بنو إسرائيل، فجاءت بشرى الملائكة لمريم بهذا المولود[1] ليبرهن وجوده في عالم الأطفال على أن الله تعالى لا ترتبط قدرته عز وجل بسبب كما يظن اليهود، بل يستطيع أن يخلق به من دونه ويزيد في الخلق ما يشاء وكيف يشاء ومتى شاء، ولقد حكى القرآن الكريم أن الملائكة قصت طرفا لمريم عن مستقبل الوليد في الدنيا والآخرة، وذكرت اسمه وبينت وظيفته في أنه سيكون نبياً وعبداً لله وطائعاً وليس كما يظن من يدّعون اتباعه الآن أنه ابن لله عز وجل أو هو الإله -تعالى الله-، بل هو عبد أنعم الله عليه وجعله مثلاً لبني إسرائيل، ولنسمع إلى طرف مما ذكره القرآن الكريم في ذلك في سورة آل عمران.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.[2]

ولا تتعجبي من هذا الأمر ولا تندهشي بل تذكري قدرة الله واستطاعته على خرق العادات، فالطفل هذا سيخالف ما هو مألوف في دنيا الأحداث، منها أنه سينطق بلسان فصيح وذلك بعد ولادته بقليل ويسمع كلامه كل الحاضرين آنذاك ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]

وقد تحقق ذلك بالفعل وجاء كلامه بعد ولادته مباشرة وحمل أمه له بين يديها وخروجها به على قومها الذين أصابتهم الدهشة ولحق الدوار برؤسهم بسبب ما رأوه وما يسمعوه، ومما سمعوه قوله كما قصت سورة مريم: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ

(١) يجب أن يلاحظ أن متى ولوقا تحدثا عن ميلاد المسيح حديثاً مقتضباً ومتضارباً وهو بعيد عما ذكره القرآن تماماً وقد بينا ذلك بتفصيل في كتابنا «المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [1]

وهذه هي الخطوط العريضة لشخصيته ووظيفته في الحياة تحدث بها أولاً ثم عقّب بعد ذلك بتبرئة أمه فقال: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2].

ولدَ وسيعيشُ وسيبلّغُ رسالةَ ربه وسيموتُ ويبعثُ حياً، ومن كان كذلك فهو ليس ابناً لله، ولا إله لأن الإله لا تعتريه هذه الأحداث: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۖ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [4]

أقول غفلت الأناجيل جمعاء ومعها رسائل بولس وبقية أسفار الكتاب المقدس عن هذا القصص الحق وذكره القرآن الكريم بكل أمانة أمام الخلائق ليضع الأمور في نصابها، ويكشف النقاب عن شخصية المسيح وولادته ويبين زيف ما نسبه النصارى إليه الذين لو ذكروا ذلك في كتبهم لانقلبت عقائدهم القائمة الآن رأساً على عقب.[5]

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٩-٣١.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٣٢-٣٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٥ - يلاحظ أن المسيح -عليه السلام- تحدث في مجال العقيدة أولاً قبل تبرئته لأمه مع العلم أن الناس كانوا ينتظرون حديثه عن براءتها لكنه أراد -عليه السلام- أن يقول للسامعين إن العقيدة أهم شيء في الحياة، وتصحيحها يجب أن يقدم على أي عمل آخر حتى وإن كان متعلقاً بعرض الإنسان وشرفه، فالعزة والشرفُ في التمسك بالعقيدة الصحيحة.

(٤) سورة آل عمران، الآية، ٦٢.

(٥) للمزيد راجع «المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها» ص٢٦-٣٠ للمؤلف.

فهل يقال بعد ذلك: إن القرآن استمد مادته من كتابهم المقدس؟ وأين موضع هذه الأخبار في الكتاب المقدس؟ ومن الذي ذكرها؟ فليخبرنا المستشرقون عن ذلك إن استطاعوا؟ وإنا لمنتظرون!

المطلب الثالث

أما في قضية الإشارات العلمية

فقد حمل القرآن الكريم لأول مرة في تاريخ الأديان إشارات علمية إلى أنواع مختلفة من العلوم البشرية والكونية إن دلت فإنها تدل على أن هذا الكتاب لم يقتبس من كتب سابقة يهودية أو نصرانية، إذ لم توجد بين سطورها هذه الإشارات ولم يستطع نصراني أو يهودي في أي وقت من الزمان قديماً أو حديثاً إثبات أن كتابه به هذه الإشارات، ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فبقي أن الذي أعطى الكتاب ونزله على خير الخلق هو خالق الخلق جل في علاه، والبحوث الحديثة أثبتت صحة ذلك بشتى أنواع الوسائل.

يقول الدكتور (أللبيدي) -طبيب- : لقد أثبتت البحوث الدقيقة والتي قام بها علماء محايدون أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد -دون الكتب السابقة- الذي يحتوي على كثير من الآيات العلمية الكونية في مجالات متعددة من الذرة إلى المجرة، ومن الجنين إلى العقل الكامل، فكانت هذه الإشارات العلمية أحد أخطر الأدلة في عصر التقدم العلمي.

فلو طابقت ما وجده العلماء في شتى الفروع والمعرفة فمعنى ذلك أن القرآن حتماً من عند الله، وخصوصاً أنه نزل على نبي أمي لا يعرف القراءة أو الكتابة وفي وقت كان فيه العالم متخلفاً لا يعرف شيئاً عن الذرة أو الأجنة أو غير ذلك من مكتشفات العلم الحديث.[1]

(١) لماذا القرآن - د/ حسين رضوان اللبيدي . عضو جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ..

وما أشار إليه الدكتور اللبيدي هنا لا يتنافر مع العقل السليم، إذ الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يُر يوماً ما مزاحماً للعلماء أو المتعلمين إن جاء بنتائج وإشارات تتوافق وما ذهب إليه أهل العلم عبر القرون والسنين وأنفقوا في سبيل اكتشافاتهم لهذه النتائج من المال الملايين ولم يملك يوماً ما وسيلة من وسائل المكتشفين العصريين لهو صادق في رسالته ومميز بكتابه الذي جاء به ميزة علمية فريدة عن أي كتاب سابق عليه في أي دين.

والدكتور (موريس بوكاي) -طبيب- فرنسي نصراني عقد مقارنة بين القرآن الكريم والتوارة الإنجيل والعلم الحديث فخرج بنتيجة مضمونها أن القرآن الكريم أتى بجديد في دنيا العلم لم توجد عند اليهود والنصارى.

وإن وجد شيء في كتابيهما فإنه لا يلتقي ونتائج العلم اليقينية، بينما لا توجد مقولة من مقولات القرآن تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عنها.[1]

وما قال ذلك «موريس بوكاي» إلا بعد دراسة موسعة بين إشارات القرآن الكريم العلمية ومعطيات العلم ونظرياته اليقينة. ونحن لا نقر بأن ما سقناه يعني أن القرآن الكريم كتاب علمي، لا بل هو في الحق كتاب هداية وإرشاد، ولكن إن وجد من يقول بأن القرآن اقتبس من عند اليهود والنصارى وليس فيه جديد فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالاتجاه إلى ما هو جديد في القرآن الكريم والذي لا يقول به السابقون وهو كثير ومجالاته متنوعة، إلا أننا أردنا الاستئناس بالإشارات العلمية فيه، وما قاله الباحثون من مسلمين أو غير مسلمين حولها، وما ذاك إلا لأنها موضوع اهتمام العصر، والقرآن الكريم كتاب لكل العصور والدهور، وصالح لكل زمان ومكان؛ ولذلك جدير بأن نذكر أمثلة لبعض الإشارات العلمية والتي تعد جديدة في دنيا الناس بعد مجيء الإسلام فمثلاً:

(١) انظر: كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٣٧ موريس بوكاي - دار المعارف . مصر.

١- الزوجية في الخلق:

قضية أشار إليها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.[١]

وعنها قال علماء التفسير قديماً:

إن في الآية الكريمة إشارة إلى أن جميع المخلوقات في الكون أزواج حتى الحيوانات والنباتات، أما خالق الأزواج فهو فرد لا شريك له.[٢]

أما حديثاً:

فقد بحث العلم في مسألة خلق الأشياء فلم يجد في أدق أبحاثه نقيضاً لهذه الآية الكريمة، بل وجد تأكيداً لما أخبرت به وجاءت نتائجه تقول: إن كل شيء مخلوق لله مبني على نظام الزوجية أو التبعيض بحيث لن تجد جوهراً فرداً في الأشياء، بل كل شيء مكون من أبعاض أو أقسام يحتاج بعضها إلى بعض بحيث لا يقوم القسم إلا بتكملة القسم الآخر له.

حتى الذرة والتي كان يعتقد في وقت ما أنها أدق جزء في المادة غير قابلة للانقسام وسمّوه بالجوهر الفرد.. وكان العالم كله يقول بالجوهر الفرد، والقرآن يقول بالزوجية في الذرة على اعتبار أنها شيء من المادة، بل الجزء من الذرة شيء إذ بالتجارب تثبت قول القرآن الكريم، وتكتشف أن الذرة مكونة من جزء موجب وآخر سالب.[٣]

وأن هناك قوة جذب جبارة بين الشحنات السالبة والموجبة كما توجد قوة تنافر هائلة بين الشحنات المتماثلة.[٤]

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) انظر: مختصر تفسير البغوي، ج٢ ص٢٩١، وتفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٤٢.

(٣) لماذا القرآن ص١٨، ١٩.

(٤) راجع الماركسية بين الدين والعلم، ص٩٨ - أستاذنا د /جميل أبو العلا.

وهذا يعني أنها ليست بجوهر فرد، وأن قانون الزوجية قانون صارم لابد وأن تخضع له جميع الأشياء بما فيها الذرات حتى نواة الذرة قام العلماء بتحطيمها عن طريق تطوير المفاعلات النووية فوجدوها مكونة من أبعاض وأجزاء.

كذلك الخلية وحدة الكائنات الحية مبنية على نظام زوجي حتى في جذورها وأجسامها الداخلية، ولما توالت البحوث نحوها وقام العلماء بفك نواة الخلية إذ بها مكونة من أزواج من الموروثات (الكرموزومات)، وعندما بحثوا تركيب فرد من الزوج إذ به مكون من سلك مزدوج من الحمض النووي D.N.A حامل الشفرة الوراثية[٣]

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم زود العلماء بنتائج أبحاثهم قبل أن يقوموا بالبحث بألف سنة أو يزيد، كما وجه الأنظار إلى أن نظام الزوجية والذي أشارت إليه الآية الكريمة - آنفة الذكر- يحتم وجود خالق قيوم غني بذاته غير فقير وغير جسم؛ لأن هذا النظام والذي تخضع له المادة والكائنات الحية كلها يدلل على افتقار كل جزء إلى أخيه الآخر، ولولا هذا الافتقار أو الاحتياج لما وجدنا حياة في الكون أو حركة؛ لأن عدم الاحتياج يعني عدم الزوجية، وعدم الزوجية يعني عدم الوجود، إذ الواحد وحده لا يقدر على البقاء أو التفاعل في الأشياء. وهذا لا ينطبق على خالق الأشياء؛ لأنه واحد أحد فرد صمد، وقادر على إيجاد كل شيء بقدرته وعلمه؛ لذلك استحق أن يكون إلهاً مالكاً لكل شيء، غير جسم وإلا لخضع لقانون الزوجية وهذا مستحيل في حقه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.[١]

٢- علم الأجنة:

جاء القرآن الكريم بحديث جديد أيضاً عن هذا العلم (علم الأجنة) لم يكن له ذكر في الكتب السابقة، وقد تركز الحديث تركيزاً دقيقاً حول أصل الجنين والأطوار

(١) لماذا القرآن ص١٩.

(٢) سورة الإخلاص.

والتحولات المتوالية التي يمر بها في رحم الأم إلى نهاية الحمل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

والتعبير القرآني يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية تالياً وجود الإنسان.. وهى حقيقة ولكنها حقيقة عجيبة تدعو إلى التأمل، فهذا الإنسان الضخم يُختَصر ويُلَخص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة.

ومن النطفة إلى العلقة حينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر تتغذى بدم الأم، ومن العلقة إلى المضغة حينما تكبر تلك النطفة العالقة وتتحول إلى قطعة دم غليظ مختلط.. وتمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لا ينحرف ولا يتحول ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة.

وتلك القوة الكامنة في الخلية التي منحت تستمر في طريقها حتى تصل إلى مرحلة تكوين العظام ثم كسوتها باللحم ثم ينفخ فيه الروح.[2]

بهذا قدم القرآن الكريم إلى البشرية جمعاء لقطات ومشاهد جديدة تحكي المراحل التي يمر بها الجنين الإنسان منذ البدء وحتى نفخ الروح.

وجاءت الأبحاث الحديثة مسلحة بأحداث الأجهزة الاكتشافية والمعامل والقاعات الدراسية لتقر وتعترف بدون تردد بصحة ما ذكره القرآن الكريم وتثبت نتائجها النهائية. أن النطفة هي بداية الجنين ويبدأ دورها باتحاد أمشاج مختلط بين حيوان الذكر المنوي وبويضة الأنثى تصديقاً لقول الحق جل وعلا: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾.[3]

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

(٢) راجع في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٤٥٨ وما بعدها الأستاذ/ سيد قطب.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٢.

ويكون المشج والتلقيح بينهما في الثلث الوحشي من قناة الرحم والتي تسمى قناة (فالوب) ثم تتعلق وتخترق جدار الرحم وتصير بذلك علقة، وتتغذى بالغذاء الموجود في دم الأم ... ويستمر في مرحلة العلقة الأربعين يوماً الأولى وفي الأربعين الثانية يدخل الجنين مرحلة أخرى متقدمة وهي مرحلة المضغة، ومنها تتكون العظام أولاً بالفقرات الظهرية ثم تتكون العضلات على جانبيها (اللحم) إذ العضلات لحم ولا يمكن -بلغة العلم- أن يخلق اللحم قبل العظم في الجنين، لأن وظيفة العضلة الحركية هي أن ترتبط بعظمتين بينهما مفصل، فإذا انقبضت أو انبسطت تحرك ذلك المفصل، فإذا لم تكن العظام موجودة فلا معنى لوجود العضلات، وقديماً كان العلماء يعتقدون كما يقول الدكتور (أحمد شوقي إبراهيم) أن الجنين؛ خلق أولاً قطعة من اللحم ثم ظهر العظم بعد ذلك، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح، والصحيح ما ذكره القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾. إنها حقيقة لم يكتشفها علماء الأجنة إلا في القرن الحالي فقط[1] انتهى.

وهذه الحقيقة أقرها محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وتحركت بها الأيام ولم يكن محمد طالباً ولا باحثاً في إحدى الجامعات الأوربية والتي منها تخرج مستشرقو اليوم والذين يعرفون حقاً هذه الحقائق ومع ذلك يغالطون ويقولون إن محمداً لم يأت بجديد بل هو مستمد لما ذكره من أفكار وقصص وعلوم من الكتب السابقة وكذبوا، فالباحث في كل الكتب السابقة للقرآن الكريم كما يقول الطبيب الدكتور «حسين اللبيدي» لا يجد لعلم الأجنة بمعناه المتكامل أي أثر أو دليل، ثم يتسأل الطبيب قائلاً: فما معنى أن نجد هذا العلم -الأجنة- في كتاب نزل على رجل أميٍّ في وقت كان فيه كل العالم لا يعرف شيئاً عن حقيقة أطوار الجنين، ثم يحيل السؤال إلى أكبر علماء الأجنة في العالم وهو الدكتور (كث المور) فيجيب الرجل قائلاً: إن وجود علم الأجنة

(١) راجع أطوار الخلق في تاريخ الإنسان ص٧٢-٧٤ د/ أحمد شوقي إبراهيم، وللمزيد كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن ج١ ص٢٠٥-٢٢٤ د/ أحمد كنعان وزميله، ورحلة الإيمان في جسم الإنسان ص٤١ د/ حامد حامد.

بالكامل في القرآن الكريم في وقت لم يكن لعلم الأجنة وجود إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام لهو دليل صدق على أن ما جاء في القرآن من عند الله وأن محمداً رسول الله[1].

وإنني بدوري منعاً للتطويل في هذا الموضوع أرسل بهذا الجواب إلى المفترين من المستشرقين في كل أصقاع الدنيا لعلهم يرجعون عن إطلاق افتراءاتهم تجاه عقيدتنا في القرآن الكريم الذي نيقن إيقاناً كاملاً بأنه غير مقتبس من عند أحد، بل هو منزل من رب العالمين ليبلغه الرسول الكريم إلى كل أحمر وأبيض من الخلائق، وتبليغه هو الوظيفة الأساسية للرسول الكريم ﷺ مهما كره الكافرون وحقد المستشرقون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2].

المبحث الثالث

دعوى التناقض في القرآن الكريم والرد عليها

لم يكتف المستشرقون بما أثاروه حول القرآن الكريم من افتراءات سابقة، بل توغلوا بأفكارهم داخل صفحات الكتاب الكريم، وبذلوا جهداً جباراً في جمع بعض الآيات القرآنية والتي تحكي عن قضايا معينة، ثم ضرب بعضها ببعض بغرض إظهار تناقضات بين الآيات المطهرة، وإذا ثبت لهم ذلك فإن هذا سيؤدي من وجهة نظرهم إلى التقليل من قيمة الاعتقاد في إعجاز هذا الكتاب العزيز عند المسلمين، وهذا هو أملهم وهدفهم المنشود ونسي هؤلاء الأبالسة أن كتاب الله ـ عز وجل ـ لا يمكن أن يقع فيه التناقض والاختلاف؛ لأنه من عند الله تبارك وتعالى وهو كلامه، والله تعالى منزه عن الخطأ منزه عن النسيان منزه عن كل ما في البشر من تناقض لذلك جاء قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[3].

(١) لماذا القرآن ص١٩، ٢٠ وراجع أيضاً القرآن الكريم والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٣٢

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

(٣) سورة النساء، من الآية: ٨٢.

ليثبت للناس أجمع أنه من عند الحق وبالحق نزل، ولكن المستشرقين بذلك لا يقبلون بل أعلنوا دعوى وجود التناقض وأصروا واستكبروا استكباراً وساقوا أمثلة لإثبات ذلك منها ما يلي:

١- مسألة خلق السموات والأرض:

قالوا عنها: إن القرآن ذكر في عدة سور أن السموات والأرض خلقتا في ستة أيام مثلما جاء في سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[١]، وفي سورة يونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[٢]، وفي سورة الفرقان: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[٣].

بينما في سورة فصلت يقول: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[٤]

ونلاحظ أن أيام الخلق هنا ثمانية أيام لا ستة فالأرض استغرق تشكيلها بناء على ما جاء في فصلت ستة أيام والسموات يومان بينما الآيات السابقة تقول إن المجموع ستة وفي هذا تناقض بين آيات القرآن ثم يضيفون وفي هذا غفلة لأن قائله بشر.[٥]

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٥٤.
(٢) سورة يونس، من الآية: ٣.
(٣) سورة الفرقان، من الآية: ٥٩، وأيضاً هود، الآية، ٧، والسجدة، الآية: ٤. وق، الآية: ٣٨. والحديد، الآية: ٥٧.
(٤) سورة فصلت، الآيات: ٩-١٢.
(٥) راجع كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص١٦٠ موريس بوكاري، ومعجزة القرآن ص٦٧، ٦٨ لفضيلة الشيخ الشعراوي.

الـرد:

إنْ هذا إلا اختلاق وكذب على آيات الله، والقرآن الكريم كله كلام الله لا كلام بشر متعبد بتلاوته معتقد بصحته عند جماعة المسلمين وكل العقلاء العالِمين.

وما ذكره المستشرقون هنا هو قول مصحوب بالغباء والافتراء إذ لا توجد أية إشارة تؤيد وجود تناقض بين النصوص الكريمة. وكل ما في الأمر أن الآيات السابقة التي ذكرت مدة الخلق للسموات والأرض ذكرتها على وجه الإجمال، بينما آيات فصلت جاءت توضح مسألة الخلق على سبيل التفصيل فهي تقرر أن الأرض خلقت في يومين ثم جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وأرزاق أهلها وما يقيم مصالحهم وأمور معاشهم في يومين آخرين وبهذا أتم أمرها وكل ما يتصل بها في أربعة أيام لا ستة إذ الضمير يعود إلى الأرض في كل ما ذكر فهو يقول سبحانه: ﴿ وَبَـٰرَكَ فِيهَا ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ ﴾ إلخ.

فالحديث ما زال عن الأرض لا عن غيرها ثم استوى إلى السماء ... فأتم خلقها في يومين فيكون المجموع ستة لا ثمانية، وهذه حسبة بسيطة لا يمكن أن يقع فيها أصغر تلميذ مبتدء في حضانة عندنا، بينما رأينا المستشرقين بكل بلاهة فيها يقعون وعلى كلام الله يتقولون؛ لذلك تنبه علماء التفسير إلى رد هذا التقول الذي لا يمكن أن يصدر إلا من الأغبياء والحاقدين في كل زمان ومكان فوضحوا الآيات بكل بساطة حتى لا تكون هناك حجة؛ ومن هؤلاء الإمام القرطبي -رحمه الله- حيث ذكر في تفسيره: أن في الآية ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ استفهام توبيخي للكافرين الذين يعلمون أن الله هو خالق السموات الأرض ومع ذلك به يكفرون ويشركون ويجعلون له أنداداً، وهو الذي خلق لهم الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها أي الجبال وبارك فيها بما خلق من المنافع وقدر فيها الأرزاق كل ذلك في ﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ أي في تتمة أربعة أيام، ثم أوضح القرطبي هذه التتمة

بمثال قال فيه: ومثاله قول القائل « خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمة خمسة عشر يوماً».[1]

ولا يمكن لعاقل هنا أن يقول إن الخروج مدته خمسة وعشرون يوماً اللهمَّ إلا إذا جمع العشرة بجوار الخمسة عشر كما فعل المستشرقون مع الآية الكريمة وهذا الجمع لا يصح إذ الحديث هو تتمة لنفس الشيء الذي بدأ الكلام عنه.

وأوضح بمثال آخر يلتقي وما قاله القرطبي -رحمه الله- لو فرض أن مؤلفاً قال: وضعت خطة كتابي هذا في خمسة عشر يوماً وأتممت كتابته في عام

هل يعني ذلك أن إخراج الكتاب استغرق خمسة عشر يوماً وعام أم عاماً فقط؟ الصحيح أنه عام فقط أما الخمسة عشر يوماً فهي جزء من هذا العام وغير زائدة عليه، إذ الجزء من الكل ليس منفصلاً، فإذا أخبر الحق تعالى أنه خلق الأرض في يومين وأتم فيها أقواتها في أربعة أيام، فهو سبحانه يخبر بالأمر تفصيلاً مبيناً لنا جزءه ثم إتمامه، والجزء غير خارج عن الكل المتمم ثم يخبرنا بعد ذلك بمرحلة خلق السموات في يومين آخرين، فأين التناقض والتنافر بين الآيات الكريمة؟!

لذلك قال الأستاذ (موريس بوكاي) في رده على المستشرقين هنا: «إن آيات سورة فصلت تدعو الإنسان إلى التأمل في القدرة الإلهية، ابتدأ من خلق الأرض وحتى يكتمل تأمله الخاص بالسماوات والآيات تقدم جزأين معطوفين بكلمة ثم التي تعني الزيادة -عن إتمام خلق الأرض- ولا يبدو أن هناك تعارضاً بين النص هنا والمفهوم التابع من نصوص أخرى للقرآن تخص تشكل الكون في ستة مراحل أو فترات، ثم يضيف أن هذه المفاهيم تتفق تماماً مع المفاهيم العلمية الحديثة عن الكون[2].

(١) راجع تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٣٤٢، ٣٤٣ بتصرف دار إحياء التراث -بيروت.

(٢) القرآن الكريم والتوارة والإنجيل والعلم، ص١٦٠، ١٦١ بتصرف بسيط..

وكذلك يتتبع فضيلة الشيخ الشعراوي هذا الزعم عند المستشرقين بالنقض ويقول: إن التناقض الذي زعمه المستشرقون -بين هذه الآيات- وهمي، وإن المستشرقين أرادوا أن يستغلوا عملية تفصيل الخلق التي أوردها الله -تعالى- في سورة فصلت ليشككوا في القرآن وكان الله عليماً قبل أن يبدؤوا بدأ الآية الكريمة بقوله: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ليقول لنا من هم الذي سيجادلون في هذه الآية وينشرونها بالطريقة التي تهواها أنفسهم للإضلال عن سبيل الله[1]، إنهم حقاً أولئك الكافرون الذين يريدون أن ينشروا ويذيعوا الكفر بين الناس، ولكن مدلولات النص لا تساعدهم على ذلك أبداً كما رأينا. قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٢- في الجمع بين الماضي والحاضر

ومن مزاعم المستشرقين أن القرآن الكريم في مطلع سورة النحل يجمع بين الزمن الماضي والحاضر من خلال قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [2]

وأتى فعل ماض حدث وأما لفظ فلا تستعجلوه فمستقبل، والجمع بين الماضي والمستقبل فيه تناقض بيِّن، إذ كيف يقال إن الله -تعالى- قال أتى ثم قال فلا تستعجلوه؟[3]

وللرد أقول:

إن كتب التفسير قالت: «إن الله تعالى في هذه الآية يخبر عن اقتراب الساعة ودنوّها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة كقوله: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ [4] وقوله: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [5]

---

(١) راجع معجزة القرآن ص٧٢.
(٢) سورة النحل، من الآية: ١.
(٣) نقلاً عن معجزة القرآن، ص٧٧ بتصرف يسير.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١.
(٥) سورة القمر، الآية: ١.

وقوله: فلا تستعجلوه أي قرب ما تباعد فلا تستعجلوه ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على الله أو على العذاب وكلاهما متلازم[1] حيث كان الكفار يستعجلون بالعذاب قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾[2]

ويفهم من هذا الكلام أن الله تعالى ساعة أن عبرَّ بالإتيان في الآية بزمن الماضي فذاك ليفهم الناس أن هذا الأمر واقع وقوعاً مؤكداً كمثل من رأى وقوع شيء في الماضي بعينيه وتأكد من تحققه تماماً، لأن الله عز وجل هو الذي أخبر وخبره مؤكد صدقه ووقوعه ولا يصح أن نطبق عليه ما نطبقه على أنفسنا من وقائع الزمن؛ لأنه لا يوجد من يماثله فهو: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فالإنسان له قوة وقدرة، والله له قوة، وقدرة ولكن قوة الله وقدرته تخالف قدرة الإنسان وقوته.. الخ

كذلك الإنسان يعيش في زمن والله سبحانه لا زمن عنده إنه منزه عن الزمن لأنه خالقه فإذا قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ فهو في علم الله حدث وانتهى وتحقق، والمؤمن يعتقد ذلك تماماً.. ويقصد هنا أن الساعة تقررت وانتهى أمرها تم الأمر فلا تستعجلوه أي لا تتعجلوا يوم الحساب إنكم تجهلون ما فيه من أهوال.

إذن فهي بالنسبة لله تم وانتهى وبالنسبة لي أنا مستقبل[3]، وعليه فليس هناك تناقض بين استخدام الماضي والمستقبل، إذ الإتيان والتدبير تم فعلاً في علم الله ولكنه محجوب عني ذلك قال تعالى: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فأين التناقض المزعوم؟

٣- في مسألة حمل الأوزار:

قالوا: إن آية في سورة الأنعام تقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[4] ومثيل لها في سورة فاطر: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[5]، وفي سورة النجم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٨١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.
(٣) معجزة القرآن ص٧٧، ٧٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٨.

وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]، بينما في سورة النحل آية تقول: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2]، وكذلك في سورة العنكبوت ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.[3]

فكيف لا تزر وازرة وزر أخرى ثم يحملون أوزاراً مع أوزارهم أليس في هذا تناقض[4]؟

وللرد أقول:

ليس هناك تناقض ولا تضارب بل هناك عدم فهم أو عدم تمرس على اللسان العربي لذا جاء العرض الاستشراقي بغير سليقة العربي ذي الملكة الذي يفهم الأسلوب ويدرك مراميه، أو يمكن القول أيضاً إن هؤلاء فاهمون ولكنهم بالألفاظ يتلاعبون ويحاولون أن يدخلوا على الناس بهذه الفرية لكي يصدقها الناشئة، والناشئة ليس عندها بصر بأسلوب اللغة، والمسلم المتدبر لكلام الله تعالى يعلم من خلال معرفته باللغة أنه لا يوجد ثمّة تضارب بين الآيات الكريمة ذلك لأن الآيات في سورة (آل عمران وفاطر والنجم) تبين حكم الله وعدله بين الناس يوم القيامة، وتقرر أن النفوس بأعمالها تجازي إن خيراً فخير وإن شراً فشراً ولا يمكن أن يحمل أحد خطيئة أحد: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[5] أي مرتهنة بعملها،[6] فمن ضل فعليه ضلاله ولا يصح أن يتحمله أحد سواه.

ثم تأتي آية سورة (النحل) لتوسع مدارك الأفهام أكثر، وتنبه أن هذا الضال لو نقل ضلاله إلى آخر واتبعه هذا الآخر فإنه سيحمل وزر ضلاله هو، ثم ضلال من

---

(١) سورة النجم، الآية ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ١٣.

(٤) انظر: شبهات وخصوم الإسلام والرد عليها، ص١١٧ ، ومعجزة القرآن، ص٨٤ الشيخ الشعراوي.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٦) راجع تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٠٨، ج٤ ص٤٥٦.

أضله ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

وعلى هذا الأمر أكدت آية سورة العنكبوت قائلة ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارهم التي عملوها، والتعبير عنها بالأثقال -كما يقول الشوكاني- للإذان بأنها ذنوب عظيمة وأثقالاً مع أثقالهم .. وهي أوزار من أخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة.[1]

فمن كان يشرب الخمر مثلاً فعليه إثمه ووزره؛ لأن عمله هذا يستحق عليه العقاب، فإن أخذ يقترب من إنسان آخر لا يعرف طريقاً لشرب الخمر وأخذ يزين له الطريق ويغريه حتى جعله من الشاربين فعليه حينئذ وزر التزين والإضلال لهذا الآخر؛ لأنه أتى بعمل جديد ساعد من خلاله على فعل المعصية وتزيينها حتى وقع فيها ذلك الآخر، ويمكن أن نسمي هذا الأخير وزر الإضلال، أما الأول فهو وزر الضلال، وعليه فالآيات الأولى التي تقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ يقصد بها الضالون، أما آيتي (النحل والعنكبوت) فيقصد بها المضلون الذي يضلون عن سبيل الله ولا تناقض بين الآيات.

٤- ما جاء في الود والمعروف:

ومما ذكره المستشرقون أيضاً في كتاب لهم يسمى (سفر البرهان في متناقضات القرآن):[2]

إن القرآن يحض الناس على معاملة آبائهم معاملة سيئة وقاسية من خلال ما جاء في سورة المجادلة: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾[3]، ثم تأخذ محمداً عاطفة من حنان

(١) فتح القدير، ج٤ ص١٩٤ ـ وراجع شبهات وأباطيل حول الإسلام، ص١١٨ ـ ومعجزة القرآن، ص٨٥.

(٢) احتوى هذا الكتاب على آيات عشر ظاهرها التناقض والتضارب وقد ذكره فضيلة الشعراوي في كتاب شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ونعتمد عليه هنا راجع ص١١٨، ١١٩

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

فتجعله يسهو ويقول ثانياً في سورة لقمان: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[1]

وفي هذا تناقض واختلاف إذ كيف يقال في الآية الأولى لا توادهم وفي الثانية يقول وصاحبهما معروفاً فكيف يمكن أن يستقيم أمران مختلفان في نفس الشيء؟!

الرد: إن المتأمل لا يجد أي اختلاف أو تضارب بين الآيتين، بل يجد جهلاً بمعاني اللغة وعدم فهم لدقة اللفظ في القرآن الكريم؛ ذلك لأن الآية الأولى تتحدث عن الود والثانية تتحدث عن المعروف والآياتان لم تردا على شيء، واحد وهو الود والمعروف، ولو وردتا على شيء واحد لأمكن أن يقال هناك تناقض وإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بين الود والمعروف هنا؟ ولكي نقف على هذا الفرق نقترب من آيات أخرى من القرآن الكريم، اذ القرآن يفسر بعضه بعضاً فنقرأ قول الله تعالى في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[2]

يقول المفسرون جعل بينكم مودة أي محبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة لمحبته لها أو الرحمة بها[3] وعلى ذلك فالمودة هي المحبة التي تمس القلب وتستقر فيه أما المعروف فهو الإحسان إلى الغير.

وآية سورة المجادلة تدعو المؤمن ألا يجعل بينه وبين الكافر الذي يحاد الله ورسوله أي مودة أو محبة قلبية؛ لأن إيمان المؤمن كما يقول البغوي في تفسيره لهذه الآية يفسد بموادة الكفار، ومن كان مؤمناً لا يوالي كافراً - أي لا يحبه - وإن كان من عشيرته[4] وأولهم أباه وأمه.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣ ص ٤٣٣.

(٤) مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، ج٢ ص٩٣٢ تعليق د/عبد الله أحمد الزيد.

أما آية سورة «لقمان» فهي لا تطلب محبة الأبوين إن كانا على كفرهما باقيين وكذلك لم تدعو إلى إهمالهما وتركهما لأحداث وأهوال الدهر بل تنصح المؤمن وتأمره أن يحسن إليهما ويصاحبهما بالبر والصلة والعشرة الجميلة.[1]

وهذا هو عين المعروف، فالمعروف يصنعه المرء مع من يحب ومع من لا يحب، فلو رأى شخص ما إنساناً في الطريق مركبته عاطلة وفي حاجة إلى مساعدة وعون فقدم له ما يريد وقضي حاجته فإنه حينئذ يكون قد صنع له معروفاً عسى الله أن يجزيه عنه خيراً، ولا يقال إن هذا الصنع مودة؛ لأن المودة محلها القلب، والمؤمن لا يحب الكافر ولو كان والده، ولكن يصنع له المعروف، وهذا هو ما يفهم من الآيتين الكريمتين وهو ما فهمه الصحابة الإجلاء مع الرسول الكريم ﷺ وترجموه إلى واقع ملموس في محيط الحياة، فسعد بن أبي وقاص كان من السابقين الأولين، وكان بأمه باراً كما أمر الدين فقالت له ذات يوم: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعيَّر بذلك أبد الدهر.. فقال لها: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي وإن شئتِ فلا تأكلي فأنزل الله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ ﴾ الآية فكان يصنع معها المعروف ولكنه لا يحبها[2] بل يطردها من قلبه تماماً؛ لأنها تحارب الله وتدعو إلى الإشراك به، وقلب المؤمن لا يصح أن يدخل فيه كافر مع الله ولا من يحاول أن يشرك به ولو كان واحداً من أبويه.

وعلى ضوء ذلك لا نرى بين الآيتين أي تضارب أو تناقض كما زعم المستشرقون؛ لأن الأولى حديثها عن المودة وهي المحبة، والمحبة لا تكون لغير المؤمن والثانية عن صنع الجميل، والمعروف ويفعل هذا للمؤمن ولغير المؤمن.

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٧٣٠.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٧١٣-٧١٤.

ولله در القائل:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه

فلن يضيع جميل أينما زرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به

فليس يحصده غير الذي زرعا

وبعد:

فهاك بعض الافتراءات التي ذكرها المستشرقون حول وقوع التناقض بين آيات القرآن الكريم، وقد عدوها كثيرة وعلى الناس أذاعوها لدرجة أن أحدهم وهو (جولد تسهير) اليهودي كتب وقال:

«إن البحث في التناقضات الظاهرة في القرآن أصبح حديثاً بين المؤمنين أنفسهم،[1] وطبعاً هذا الحديث وصل إلى مسامعه هو فقط، أما نحن المسلمين لم نسمع ببحث في تناقضات القرآن لا لشيء إلا لأنها غير موجودة: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[2]

أما ما ذكروه فقد أتينا على أشهره كما أسلفنا ووجدنا أنه عبارة عن أباطيل وافتراءات، وأن أصحابها بعيدون عن فهم بلاغة ودقة التعبير القرآني والتي تجعل اللفظ والمعنى منسجمين تماماً لا يبتعدان بعضهما عن البعض ولا يؤديان إلا نفس المعنى المقصود بالنسبة لمقتضيات الحال.

وعلى كلٍ فإنني أنقل إلى المستشرقين في النهاية السطور الأولى من إنجيل يوحنا - المقدس عندهم- ليقارنوا بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في هذا الإنجيل ويوازنوا بين ألوان الكلام هنا وألوان الكلام هناك يقول يوحنا: في البدء كان الكلمة والكلمة

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. ثم يقول:

والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.[1]

وليخبرناالمستشرقون الآن أين التناقض وعدم الانسجام أفي هذا الكلام أم في كلام الله الذي شهدت به الجن قائلة: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2] ؟

إن ما قاله يوحنا لا يفهمه جن ولا إنس ومع ذلك يدافع عنه السادة المستشرقون وعلى كلام الله يتهجمون.

إنني لا أشك أن هؤلاء لفي محنة عقلية وصدق من قال:

يقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن.

❁ ❁ ❁

(١) إنجيل يوحنا ١-٤، ١٤، ١٥ الإصحاح الأول.

(٢) الجن، من الآية، ١.